رجلان تحابا

في اللــــه

لا تكتمل الصحبة حتى تقول لأخيك : يا أنا

رجلان تحابا في الله

التحاب في اللّه تعالىٰ والأخوة في دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات ، وهي البقيّة مما يلتذ به في دار الدينا .

للّه ما أحلى محبة كانت قبل الوجود :

عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « **الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** »[1] .

قال أبو سليمان الخطابي ـ رحمه اللّه ـ : « ومعنىٰ هذا الحديث : الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد . . . وأعلم النبي ﷺ أنها خلقت علىٰ ائتلاف واختلاف فتأتلف الأجساد في الدنيا وتختلف علىٰ حسب ما وقع في مبدأ الخِلقة » حب فياض رائق عذب جميل أعلىٰ من كل رابطة تمتُّ إلىٰ الأرض . . . رفرفة أرواح أحبت ربها فألقىٰ المحبة بينها .

ولقد امتن اللّه علىٰ نبيه ﷺ بالألفة والحب بين أصحابه قال تعالىٰ : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[2] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[3] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) سورة الأنفال الآية (٦٣) .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٣) .

للّه ما أحلاها من نعمة وأعظمها منّة :

ولله در أبي علي الكاتب المصري حيث يقول : « روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها ، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها ، وتبدو عليهم وإن ستروها »(١) .

« وليس الحب إلا ما نشأ عليه القلب ونما ، ورُبي في أرض المودة وسما » .

ومهما طاب المثمر طابت الثمرة . . . ولا أطيب من الحب في اللَّه فما ظنك بالثمرة : « قال اللَّه تعالى : **حُقّتْ محبتي للمتحابين فيّ ، وحُقّت محبتي للمتواصلين فيّ ، وحُقّت محبتي للمتناصحين فيّ ، وحُقّت محبتي للمتزاورين فيّ ، وحُقّت محبتي للمتباذلين فيّ .**

المتحابون فيّ على منابر من نور ، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء »(٢) .

وقال اللَّه تعالى : « **وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتباذلين فيّ ، والمتزاورين فيّ** »(٣) .

وقال اللَّه تعالى : « **حُقّت محبتي على المتحابين ، أظلهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي** »(٤) .

---

(١) « البداية والنهاية » (١١/ ٢٢٨) .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد ، والطبراني في « الكبير » ، والحاكم في « المستدرك » وصححه ، عن عبادة بن الصامت ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٣٢١) .

(٣) صحيح : رواه أحمد في « مسنده » ، والطبراني في « الكبير » ، والحاكم في « المستدرك » ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن معاذ ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٣٣١)، و«تخريج المشكاة » (٥٠١١) .

(٤) صحيح : رواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الإخوان » عن عبادة بن الصامت ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٣٢٠) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل إلا ظلي** »(١) .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن المتحابين باللَّه في ظل العرش** »(٢) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في اللَّه ، وتبغض في اللَّه** »(٣) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أوثق عرى الإيمان الموالاة في اللَّه ، والمعاداة في اللَّه، والحب في اللَّه ، والبغض في اللَّه عز وجل** »(٤) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **قال اللَّه تعالى : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** »(٥) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من أحب للَّه ، وأبغض للَّه ، وأعطى للَّه ، ومنع للَّه، فقد استكمل الإيمان** »(٦) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**ما تحابّ اثنان في اللَّه تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه** »(٧) .

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » ، وأحمد ، وابن حبان ، والحاكم عن معاذ ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٩٣٧) .

(٣) حسن : روه أحمد ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن البراء ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٠٠٩) .

(٤) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن ابن عباس ، والطيالسي ، والحاكم ، والطبراني في «الكبير» و« الأوسط » عن ابن مسعود ، وأحمد وابن أبي شيبة ، وابن نصر عن البراء ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٥٣٩) .

(٥) صحيح : رواه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم في « المستدرك » عن معاذ ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٣١٢) .

(٦) صحيح : رواه أبو داود ، والضياء في « المختارة » عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٨٠) ، و« صحيح الجامع » رقم (٥٩٦٥) .

(٧) صحيح : رواه البخاري في « الأدب » ، وابن حبان ، والحاكم في « المستدرك » عن أنس ، =

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما أحب عبد عبداً لله ، إلا أكرم ربه** »(١) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**من أحب أن يجد طعم الإيمان ، فليحب المرء ، لا يحبه إلا لله** »(٢) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان ، فليحب المرء لا يحبه إلا لله** »(٣) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار** »(٤) .

هذا فيمن يحب رجلاً في الله وربما لم يخبره بذلك ، فكيف إذا تحاب رجلان وأعلم كلاً منهما الآخر بذلك :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه أنه يحبه**»(٥) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله ، فليخبره أنه يحبه لله** »(٦) .

= وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (٤٥٠) ، و« صحيح الجامع » رقم (٥٥٩٤) .

(١) حسن : رواه أحمد في « مسنده » عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » رقم (١٢٥٦) ، و« تخريج المشكاة » (٥٠٢٢) ، و« صحيح الجامع » رقم (٥٥١٦) .

(٢) حسن : رواه البيهقي في « شعب الإيمان » عن أبي هريرة ، ورواه أحمد والبزار ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٩٥٨) .

(٣) حسن : رواه أحمد ، والحاكم عن أبي هريرة ، ورواه ابن نصر ، والبزار ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٣٠٠) ، و« صحيح الجامع » رقم (٦٢٨٨) .

(٤) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه عن أنس .

(٥) صحيح : رواه أحمد ، والبخاري في « الأدب المفرد » ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن حبان والحاكم عن المقداد بن معدي كرب ، وابن حبان عن أنس ، والبخاري في « الأدب » عن رجل من الصحابة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٧٩) .

(٦) صحيح : رواه أحمد ، والضياء في « المختارة » عن أبي ذر ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » =

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **المرء مع من أحب** »[١] .

وأي شرف بعد هذا الشرف الذي يتحفنا به رسول اللَّه ﷺ حيث يقول : «**وددت أني لقيت إخواني الذين آمنوا بي ، ولم يروني** »[٢] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٣] .

وللَّه در الشاعر حين يقول :

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجرُ
هذا له ثمـــر حلـو مذاقتـه وذاك ليـــس له طعـمٌ ولا ثَمَـــرُ

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **إن من عباد اللَّه لعبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء** » قيل : من هم لعلنا نحبهم ؟ قال : « **هم قوم تحابوا بروح اللَّه على غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور ، وهم على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم تلى ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾**[٤] »[٥] .

= وابن وهب في « الجامع » وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٨١) .

(١) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي عن أنس ، والبخاري ومسلم عن ابن مسعود .

(٢) رواه أحمد عن أنس ، ورواه مالك ، وأحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٣) إسناده صحيح : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « الإخوان » ، ورواه هنَّاد بن السري في «الزهد» ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأخرجه أبو داود والطبراني وأبو نعيم في « الحلية » ، وقال ابن كثير : إسناده جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب ، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه الطبري .

(٤) سورة يونس الآية (٦٢) .

(٥) إسناده حسن : لا بأس به في الشواهد ، رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » ، وأحمد في «المسند» من طريق ابن أبي الدنيا ، وابن المبارك في « الزهد » وقال المنذري : رواه أحمد =

وعن أبي مالك الأشعري ، أن رسول اللَّه ﷺ أقبل على الناس بوجهه فقال : « **يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن للّه عز وجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من اللّه** » ، فقال أعرابي : يا رسول اللَّه انعتهم لنا ، جَلِّهم لنا ، فتبسّم رسول اللَّه ﷺ لقول الأعرابي ، وقال : « **هم ناس من أفناء الناس ، ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في اللّه عز وجل وتَصَافَوْا ، يضع اللّه عز وجل لهم منابر من نور ليجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً ، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(1) .

قال كعب الأحبار : « في الجنة عمود من ياقوتة حمراء ، في أعلاه سبعون غرفة ، هي منازل المتحابين في اللَّه ، مكتوب في جباههم (المتحابون في اللَّه) إذا أشرف الرجل منهم على أهل الجنة ، أضاء لأهل الجنة ، كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، فيقولون : هذا الرجل من المتحابين في اللَّه » .

وقال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ : « عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار : ﴿ **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾؟(2) .

وقال ابن السماك عند موته : « اللّهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك .

= وأبو يعلى بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وأورده الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٢٧٦ـ ٢٧٧) ، وقال : رواه كله أحمد والطبراني بنحوه وزاد « على منابر من لؤلؤ قدام الرحمن ، ورجاله وثقوا .

(١) إسناده حسن : أخرجه هنّاد في « الزهد» ، وأبو نعيم في « الحلية » .

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٠٠ـ ١٠١) .

وقال الفضيل في بعض كلامه : هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؟ بأي عمل عملته ؟ بأي شهوة تركتها ؟ بأي غيظ كتمته ؟ بأي رحم قاطع وصلتها ؟ بأي زلة لأخيك غفرتها ؟ بأي قريب باعدته في اللَّه ؟ بأي بعيد قاربته في اللَّه ؟

وقال مجاهد : المتحابون في اللَّه إذا التقوا فكشر بعضهم إلىٰ بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس .

وقال الفضيل : « نظر الرجل إلىٰ وجه أخيه علىٰ المودة والرحمة عبادة »(١) .

الحب في اللَّه :

وحد الحب في اللَّه : هو كل حب لولا الإيمان باللَّه واليوم الآخر لم يُتصور وجوده فهو حب في اللَّه ، وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان باللَّه لم تك تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في اللَّه فذلك وإن دقّ فهو عزيز .

قال الحريري : « تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتىٰ رقّ الدين ، وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتىٰ ذهب الوفاء ، وفي الثالث بالمروءة حتىٰ ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة »(٢) .

وأعلىٰ الحب في اللَّه أن يحب المرء للَّه في اللَّه لا لينال منه علمًا أو عملاً أو يتوسل به إلىٰ أمر وراء ذاته وهذا أعلىٰ الدرجات وهو أرقها وأغمضها :

فمن أحب إنسانًا حبًا شديدًا أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثني عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلىٰ رضا محبوبه ، حتىٰ قال بقية بن الوليد : إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه .

---

(١) « الإحياء » (٢/ ١٧٥) .

(٢) « الإحياء » (٢/ ١٧٩) .

حقوق الأخوة والصحبة :

للَّه در علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : « يا بني ! إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك ، واصحب من إذا مددت يدك بخير مدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن رأى سيئة سدّها ، اصحب من إذا سألته أعطاك ، وإن سكتَّ ابتداك ، وإن نزلت بك نازلة واساك ، اصحب من إن قلت صدّق قولك ، وإن حاولتما أمرًا أمّرك ، وإن تنازعتما آثرك .

قال ابن أكثم : قال المأمون : فأين هذا ؟ فقيل له : أتدري لم أوصاه بذلك ؟ قال : لا . قال : لأنه أراد أن لا يصحب أحدًا . اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين ، كعقد النكاح بين الزوجين .

ولأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء والتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق :

الحق الأول : في المال :

عن عبادة بن الصامت ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **قال اللَّه تعالى : حَقَّتْ محبتي للمتباذلين فيّ** »(١) .

وللَّه در هلال بن العلاء بن عمر الباهلي :

مَلأْتُ يدي مِنَ الدنيا مرارًا ... فما طمع العواذلُ في اقتصادي
ولا وجبتْ عليَّ زكاة مال ... وهل تجبُ الزكاةُ على الجَواد(٢)

---

(١) إسناده صحيح : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « الإخوان » ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤/ ١١٦) رقم (٤١٩٦) .
(٢) « روضة العقلاء » لابن حبان (ص٢٣٨) .

والمواساة بالمال مع الإخوان على ثلاث مراتب :

أدناها : أن تقوم بحاجته من فضلة مالك ، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداءً ولم تحوجه إلى السؤال ، فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة .

الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه .

رأى بعض الحكماء رجلين يصطحبان لا يفترقان ، فسأل عنهما فقيل : هما صديقان ، فقال : ما بال أحدهما فقير والآخر غني ؟؟

الثالثة : وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين .

قال اللَّه تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[١] .

وقال اللَّه عز وجل : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[٢] .

أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال : نعلي ، لأنه أضافه إلى نفسه .

الإسعاف بالجاه :

الإسعاف بالجاه هو ألطف الصنائع موقعًا ، وربما كان أعظم من المال نفعًا ، قال بعض البلغاء : من علامة الإقبال : اصطناع الرجال .

وبذل الجاه أحد الحباءين[٣] .

---

(١) سورة الحشر الآية (٩) .

(٢) سورة الشورى الآية (٣٨) .

(٣) الحباءين : العطاءين .

والجاه هو الظل الذي يلجأ إليه المضطرون ، فإن أوطأه[١] ، اتسع بكثرة الأنصار والشيع ، وإن قبضه ، انقطع بنفور الغاشية والتبع ، فهو بالبذل ينمو ويزيد ، وبالكف ينقص ويبيد .

وعلى من أُسعد بجاهه ثلاثة حقوق :

الأول : أن يستسهل المعونة مسرورًا ولا يستثقلها كارهًا .

الثاني : مجانبة الاستطالة ، وترك الامتنان ، فأضيق الناس طريقًا وأقلهم صديقًا ، من عاشر الناس بعبوس وجهه ، واستطال عليهم بنفسه .

والثالث : ألا يقرن بمشكور سعيه تقريعًا بذنب، ولا توبيخًا على هفوة .

ولله در سعد بن الربيع ـ رضي الله عنه ـ في إيثاره العجيب :

لما هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة فقيراً ، لا شيء له ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، فعرض عليه سعد أن يشاطره نعمته ، وأن يطلق له أحسن زوجتيْه .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دُلّني على السوق .

قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : « أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم ، وإنا في زمانٍ الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم »[٢] .

قال سفيان بن عيينة : « سمعت مساور الوراق يحلف بالله ـ عز وجل ـ ما كنتُ أقولُ لرجل إني أحبك في الله ـ عز وجل ـ فأمنعه شيئًا من الدنيا »[٣] .

---

(١) مهّده وسهّله .

(٢) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : رواه الطبراني بأسانيد بعضها حسن .

(٣) كتاب « الإخوان » لابن أبي الدنيا (ص٢٠٤ ـ ٢٠٥) ، تحقيق محمد عبد الرحمن طوالبة ، نشر دار الاعتصام .

وقال عمر بن عبد العزيز : « ما أعطيت أحدًا مالاً إلا وأنا أستقله ، وإني أستحي من اللَّه ـ عز وجل ـ إن سألت اللَّه ـ عز وجل ـ لأخ من إخواني وأبخل عنه بالدنيا ، وإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الدنيا بيدك كنتَ أبخل » .

وقيل لمحمد بن المنكدر : ما بقي مما يُسْتَلَذُّ ؟ قال : الإفضال على الإخوان .

وقال يزيد بن عبد الملك : « إني لأستحي من اللَّه ـ عز وجل ـ أن أسأل الجنة لأخ من إخواني وأبخل عليه بدينار أو درهم » .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقرأ القرآن في سجدة واحدة .

وقال أحد الصالحين : « وددت أن جميع إخواني أتوني فشاركوني في معيشتي حتى يكون عيشنا عيشًا واحدًا ، ولوددت أن جميع إخوني أتوني في حوائجهم ، وإني لأستحي من اللَّه ـ عز وجل ـ أن ألقى الأخ من إخواني فأدعو له بالجنة وأبخل عليه بالدنيا ، والدنيا أصغر وأحقر من أن يقال لي يوم القيامة : كنتَ كذّابًا ، لو كانت الدنيا في يدك كنتَ بها أبخل »(١) .

وقال أبو جعفر محمد بن الحسين لعبد اللَّه بن الوليد : يدْخل أحدكم يده في كُمِّ صاحبه ويأخذ ما يريد ؟ قلنا : لا ، قال : فلستم بإخوان كما تزعمون .

ولما حضرت الوفاة سعيد بن العاص قال لبنيه : يا بني لا تفقدوا إخواني مني عندكم عين وجهي ، أجروا عليهم ما كنتُ أجري ، واصنعوا بهم ما كنت أصنع ، ولا تلجئوهم للطلب ، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه ، وارتعدت فرائصه ، وكلَّ لسانه ، وبدا الكلام في وجهه .

اكفوهم مُؤنة الطلب بالعطية قبل المسألة ، فإني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل على فراشه ذاكرًا موضعًا لحاجته ، فعدا بها عليكم لا أرى قضى

---

(١) كتاب « الإخوان » (ص٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

حاجته عوضًا عن بذل وجهه ، فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة(١) .

ودخل قوم على الحسن ـ رضي اللَّه عنه ـ فقالوا : يا أبا سعيد أصلّيْت؟ قال : نعم ، قالوا : فإن أهل السوق لم يصلوا بعد ؟ قال : ومَنْ يأخذ دينه من أهل السوق ؟ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم ! قاله كالمتعجب منه .

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم ـ رحمه اللَّه ـ وهو يريد بيت المقدس ، فقال : إني أريد أن أرافقك ، فقال له إبراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك ، قال : لا ، قال : أعجبني صدقك .

وأعطى مرة حمارًا كان لرفيقه ـ بغير إذنه ـ رجلاً رآه راجلاً ، فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك .

ورُوي أن مسروق أدان دينًا ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دين ، قال : فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم(٢) .

كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء :

قال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ : لعشرون درهما أعطيها أخي في اللَّه أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين .

من رياض السلف :

جاء فتح الموصلي إلى صديق له ـ يُقال له عيسى التَمَّار ـ فلم يجده في المنزل ، فقال للخادم : أخرجي إليَّ كيس أخي ، فأخْرَجته له فأخذ درهمين ، وجاء عيسى إلى بيته فأخبرته الخادم بمجيء فتح وأخذه الدرهمين ، فقال : إن كنت صادقة فأنت حرَّة فنظر فإذا هي صادقة فَعتِقَتْ .

---

(١) كتاب « الإخوان » (ص٢١٩) .
(٢) « الإحياء » (٢/ ١٨٩) .

وعن مطرِّف قال : أتيت عثمان بن أبي العاص فقال لي : يا مطرِّف وَيَدَاك ملأىٰ ؟ فلما ولَّيْت أتبعني رسولاً معه صرَّة فيها أربعمائة ، فلما تيسرت ، أتيته بها ، فقال : لم أُعْطكها لآخذها منك .

وقال طعمة الجعفري : كان عمران بن موسىٰ بن طلحة يأتيني بالألف دينار والألفيْ دينار ويقول : أقسمها علىٰ إخوانك ولا تُعلمهم أنها مِن قِبَلِي .

وكان يقول : ما رأيتُك إلا رأيت لك عليَّ فضلاً بقضاء حوائجي ، قال طُعمة : وإنما قضاء حوائجه أن يُعطيني الدنانير والدراهم أقسهما علىٰ الفقهاء .

وقال منصور بن أبي الأسود : كان ليث بن أبي سُليم يأتيني بالنفقة فيقول : خذها ، فإن لم تحتج إليها فأعطها من يحتاج إليها من أهل البيت .

وكان عامر بن عبد اللَّه بن الزبير يتحيَّن العباد وهم سجود : أبا حازم ، وصفوان بن سُليم ، وسليمان بن سُحيم ، وأشباههم - فيأتيهم بالصرر فيها الدنانير والدراهم ، فيضعها عند نعالهم ، حيث يحسُّون بها ولا يشعرون بمكانه ، فيقال : ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ، فيقول : أكره أن يتمعَّر وجهه إذا نظر إلىٰ رسولي أو إذا لقيني .

وعن زهير بن أبي خيثمة قال : استقرض أبي من الحسن بن الحرّ ألف درهم ، فلما جاء يردها عليه قال له الحسن بن الحر : اذهب فاشتر بها لزهير سُكرًا .

وعن الأعمش أن خيثمة بن عبد الرحمن وَرِث مائتي ألف فأنفقها علىٰ إخوانه[1] .

---

(١) انظر : كتاب « الإخوان » ، لابن أبي الدنيا .

وانظر إلى أريج وعطر أهل البيت :

كان أبو جعفر محمد بن علي يُجيزُ بالخمسمائة والستمائة إلى الألف، وكان لا يملُّ من مجالسة إخوانه .

وعن الحسن بن كثير قال : شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء إخواني .

فقال : بئس الأخ أخ يرعاك غنيًا ويقطعك فقيرًا ، ثم أمر غلامه فأخرج كيسًا فيه سبعمائة درهم فقال : استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ، ويكسوهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم : فتقول له مولاته سلمى : ما تصنع ؟ فيقول لها : يا سلمى ما يؤمَّل في الدنيا بعد المعارف والإخوان ؟

ولقي الحسن البصري بعض إخوانه ، فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته وألبسها إياه ، وقال : إذا أتيت أهلك فبعها واستنفق ثمنها .

وكان مورِّق العجلي يأتي بالصرر فيها الأربعمائة والخمسمائة فيودعها إخوانه ، ثم يلقاهم بعد ، فيقول : انتفعوا بها فهي لكم .

ولقى حكيم بن حزام عبد اللَّه بن الزبير ـ بعدما قُتل الزبير ـ فقال : كم ترك أخي عليه من الدَّيْن ؟ قال : ألفيْ ألف ، قال : عليَّ منها ألف ألف .

وقال سفيان الثوري : ما بقي أحد يدفع به عن أهل الكوفة إلا ابن سوقة، كانت عنده عشرون ومائة ألف فقدَّمها ، وكانت له صرر فيها مال ، فإذا دخل عليه إخوانه ، قال : إخواني من احتاج إلى شيء فليأخذ ، فأخذوا واللَّه حتى نفدت عن آخرها ، فرحم اللَّه محمد بن سوقة .

وعن مطر الورَّاق قال : أتيت محمد بن واسع يومًا ، فلما رآني قال

برأسه بين رجليه فخمَّر وجهه أن أنظر إليه ، فلم يرفع رأسه ، فقمتُ ، فذهبتُ ، فلما كان بعد أيام أتاني بكيس فيه سبعمائة درهم فدفعها إليَّ وأنا في حانوتي في قنطرة حرة ، فقلت : تبعث إليَّ في حوائجك ؟ قال وأي حاجة لي ، أتيتني فظننت بك الحاجة ، فما استطعت أن أنظر إليك ، قال مطر : فقلتُ له : أنا بخير ، فقال : أنت كيف شئت !! الدراهمُ لا ترجع إلي[1] .

قال الحسن : كنا نعد البخيل الذي يُقرِض أخاه !! وقال ـ رحمه اللَّه ـ : ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه .

وجاء رجل من السلف الصالح إلى بيت صديق له ، فخرج إليه فقال : ما جاء بك ؟ قال : عليَّ أربعمائة درهم ، فدخل الدار فوزنها ، ثم خرج فأعطاه ، ثم عاد إلى الدار باكيًا ، فقالت زوجته : هلاَّ تعللت عليه ، إذا كان إعطاؤه يشق عليك ؟ فقال : إنما أبكي لأني لم اتفقَّد حاله ، فاحتاج أن يقول ذلك !![2] .

قال أبو سليمان الداراني : كان لي أخ في اللَّه عز وجل ، فقلت له يومًا : أعطني دراهم ، فقال : كم تريد ؟ فسقط من عيني ، وخرجت أُخوّته من قلبي بقوله : كم تريد ؟[3] .

الحق الثاني : إطعام الإخوان وكسوتهم :

قال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ : لأن أجمع نفرًا من أصحابي على صاع أو صاعَيْن من طعام أحب إلى من أخرج إلى سوقكم فأعتق نسمة .

---

(١) انظر : كتاب « الإخوان » (ص٢١٦ ـ ٢١٧) .
(٢) « التبصرة » ، لابن الجوزي (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) .
(٣) « التبصرة » ، لابن الجوزي (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) .

وللَّه در أبي سليمان الداراني حين يقول : « لو أن الدنيا كلها لي في لقمة ، ثم جاءني أخ لأحببت أن أضعها في فيه »[١] .

وما أحلىٰ أبا سليمان وأطيبه حين يقول : إني لألقم اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي[٢] .

ودخل مالك بن دينار ومحمد بن واسع منزل الحسن وكان غائبًا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل ، فقال له مالك : كُفَّ يدك حتىٰ يجيء صاحب البيت ، فلم يلتفت محمد إلىٰ قوله ، وأقبل علىٰ الأكل ـ وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقًا ـ فدخل الحسن وقال : يا مويلك، هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتىٰ ظهرت أنت وأصحابك ، أشار بهذا إلىٰ أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة ، كيف وقد قال تعالىٰ : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ ، وقال : ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلىٰ أخيه ويفوِّض له التصرف كما يريد[٣] .

وكان أبو جعفر محمد بن علي يدعوا نفرًا من إخوانه كل جمعة فيطعمهم الطعام الطيب ، ويطيبهم ، ويَبخِّرهم ، ويروحون إلىٰ المسجد من منزله[٤] .

وللَّه در الإمام أحمد بن حنبل حين يقول : لو أن الدنيا جمعت حتىٰ تكون في مقدار لقمة ، ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه

---

(١) كتاب « الإخوان » ، (ص٢٣٥) .
(٢) « الإحياء » (٢/ ١٩٠) .
(٣) « الإحياء » (٢/ ١٩٠) .
(٤) كتاب « الإخوان » (ص٢٣٠) .

المسلم لما كان مسرفًا[١] .

وتعال إلىٰ بستان الحسن البصري وأزاهيره :

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد : الرجل يذبح الشاة فيصنعها ، ويدعو عليها نفرًا من إخوانه ، قال : وأين أولئك ؟ ذهب أولئك .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ إذا دخل عليه إخوانه أتاهم بما عنده ، وربما قال لبعضهم : أخرج السلة من تحت السرير ، فيخرجها فإذا فيها رطب ، فيقول : إنما ادخرته لكم .

وقال يونس بن عبيد : كنا عند الحسن البصري فأهديت إليه سلة من سكر ، ففتحها ، فلم أر سكرًا كان أحسن منه : فقال برجله : اهضموا ، أي كلوا .

وقال عن بن يونس : دخل رجل علىٰ الحسن فوجده نائمًا علىٰ سريره ، ووجد عند رأسه سلة فيها فاكهة ، ففتحها ، فجعل يأكل منها فانتبه فرأىٰ الرجل يأكل ، فقال : رحمك اللَّه ، هذا ـ واللَّه فعل الأخيار .

وكان للحسن بيت إذا فتح بابه فهو إذنه ، فجاء أعرابي فصادفه مفتوحًا ، فدخل والحسن في المذهب ، فجاء إلىٰ شيء تحت سرير الحسن فأخرجه وجعل يأكل ، فنظر إليه الحسن وجعل يبكي ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا سعيد ؟ فقال : ذكرني هذا أخلاق قوم قد مضوا .

أما ابن سيرين فقد قال عنه أبو خلْدَة :

دخلنا علىٰ ابن سيرين أنا وعبد اللَّه بن عوف ، فرحَّب بنا وقال : لا أدري كيف أتحفكم ؟ كل رجل منكم في بيته خبز ولحم ولكن سأطعمكم شيئًا لا أراه في بيوتكم ، فجاء بشُهْدة[٢] ، وكان يقطع بالسكين ويطعمنا .

---

(١) « طبقات الحنابلة » (١/ ١٠٦) .

(٢) الشَّهْد والشُّهْد هو العسل ، والشهدة أخصُّ جمع شهاد .

وقال أبو إسحاق الأقرع : رأيت عبد اللَّه بن المبارك يخرج من عند سفيان بن عيينة مسروراً طيِّب النفس ، فقيل له في ذلك ، فقال : وما يمنعني مِنْ ذلك ؟ حدثني ابن عيينة بأربعين حديثًا وأطعمني خبيصًا(١) .

وكان ابن المبارك ـ رحمه اللَّه ـ يُطعم أصحابه في الأسفار أطايب الطعام وهو صائم(٢) .

وعن شعيب بن حرب قال : كان حمزة الزيَّات يُقرئنا القرآن ، ويطعمنا الخبيص .

قال الأعمش : وكان خيثمة يصنع الخبيص والطعام الطيب ، فيدعوا إبراهيم النخعي ويدعونا معه ، ويقول كلوا ما أشتهيه ، ما أصنعه إلا لكم» .

وعن أبي الزناد أن زيداً قدم من سفر ، فأهدىٰ له طلحة سلال خبيص ، فجمع عليها إخوانه القراء ، فأكلوا وكساهم ثوبًا ثوبًا .

وكان سعيد بن العاص يدعوا جيرانه وجلساءه في كل يوم جمعة ، فيصنع لهم الطعام ، ويكسوهم الثياب ، فإذا أرادوا أن يتفرقوا أمر لهم بالجوائز ، وبعث إليهم(٣) .

وقدم الأشعث بن قيس من مكة ، فلما صلىٰ الفجر أمرهم فأخذوا بأبواب المسجد ، فأمر لكل من في المسجد بحُلَّة ونعلين .

وكان خيثمه يحمل صرراً فيجلس في المسجد ، فإذا رأىٰ رجلاً من أصحابه في ثياب رثة اعترض فأعطاه صرة .

وعن الأعمش قال : ربما رأيت علىٰ إبراهيم الثوب ، فأقول من

---

(١) الخَبص : الخلْط ، والخبيص : المعمول من التمر والسمن .
(٢) « لطائف المعارف » (ص٢٦٠) ، طبع مؤسسة الريان ، ودار ابن حزم .
(٣) كتاب « الإخوان » (ص٢٣٣ـ٢٣٤) .

كساكم؟ فيقول : خيثمة ، وربما وُلِدَ له فيسترضع خيثمة الصرة لولده .

ورأىٰ مجمع التيمي علىٰ سفيان الثوري إزارًا متخرقًا فجاء بأربعة دراهم ، فقال : اشتر بها إزارًا(١) .

الحق الثالث : الإعانة بالنفس والبدن في قضاء الحاجات ، والقيام بها قبل السؤال ، وتقديمها على الحاجات الخاصة :

وهذه أيضًا لها درجات كالمواساة بالمال ، **فأدناها** القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة .

قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسي ، فإذا لم يقضها فكبِّر عليه واقرأ هذه الآية : ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾(٢) .

وقضىٰ ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاءه بهدية ، فقال : ما هذا ؟ قال : لما أسديته إليَّ ، فقال : خذ مالك عافاك اللّه ، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبِّر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتىٰ .

قال جعفر بن محمد : إني لأتسارع إلىٰ قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني ، هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء ؟

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته ، وكان الواحد منهم يتردد إلىٰ باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت ؟ هل

(١) كتاب « الإخوان » (٢٤٠ـ٢٤٨) .
(٢) سورة الأنعام الآية (٣٦) .

لكم ملح ؟ هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها حيث لا يعرفه أخوه ، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها[١] .

قال هُريم بن سفيان : كان عمرو بن قيس الملائي يمر بنا في كل جمعة ، ومعه هدية قد حملها ، يأتي بها منزل منصور بن المعتمر قال : وذلك بعد موت منصور بما شاء اللَّه ، فلم يزل على ذلك حتى مات ، قال : فبلغني أن أهله كانت تعاهدهم بنحو من ذلك بعد ما مات عمرو .

وعن بسطام التيمي قال : رأيت طلحة بن مصرِّف يخرج من زقاق ضيِّق في التيم ، فقلتُ : من أين يجيء طلحة ؟ قالوا : يأتي أم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة ، قال : وذلك بعد موت عمارة ببضع عشرة سنة ، قال : وكانت أم عمارة أعجمية .

وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك ، وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة ، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ، ولا ترى لنفسك حقًا بسبب قيامك بها ، بل تتقلد مِنَّة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ، ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة ، بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد .

كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا ، وإخواننا يذكروننا بالآخرة .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **أحب الناس إلى اللَّه تعالى أنفعهم للناس ، وأحب**

---

(١) « الإحياء » (٢/ ١٩٠-١٩١) .

الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على المسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينا ، أو يطرد عنه جوعا ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً ، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام ، وإن سوء الخلق يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل »[(١)] .

قال عبد اللَّه بن عثمان شيخ البخاري : « ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي ، فإن تمَّ وإلا قمت له بمالي ، فإن تَّم وإلا استعنَّا له بالإخوان ، فإن تَّم وإلا استعنا له بالسلطان »[(٢)] .

ودخل علي بن زين العابدين بن الحُسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده ، فبكى ابن أسامة ، فقال له : ما يبكيك ؟ قال : عليَّ دين ، قال : وكم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار ـ وفي رواية سبعة عشر ألف دينار ـ فقال : هي عليّ »[(٣)] .

وقال الهيثم بن جميل : « جاء فضيل بن مرزوق إلى الحسن بن حي فأخبره أنه ليس عنده شيء ، فقام الحسن فأخرج ستة دراهم ، وأخبره أنه ليس عنده غيرها ، فقال : سبحان اللَّه ليس عندك غيرها وأنا آخذها ، فأخذ ثلاثة وترك ثلاثة »[(٤)] .

أرسل الحسن البصري جماعة من أصحابه في قضاء حاجة لأخ لهم ، وقال مروا بثابت البناني فخذوه معكم ، فمروا بثابت فقال : أنا معتكف ،

---

(١) صحيح : « السلسة الصحيحة » رقم (٩٠٦) .
(٢) « الآداب الشرعية » ، لابن مفلح (٢/ ١٨٩) .
(٣) « البداية والنهاية » (٩/ ١٠٥) .
(٤) « ميزان الاعتدال » للذهبي (٣/ ٣٦٢) .

فرجعوا إلىٰ الحسن فأخبروه ، فقال لهم : قولوا له : يا أعمش أماعلمت أن سعيك في حاجة أخيك خير لك من حجة بعد حجة ، فرجعوا إلىٰ ثابت فأخبروه ، فترك اعتكافه وخرج معهم »(١) .

● قال ابن رجب في « لطائف المعارف » :

« كان كثيرمن السلف يشترط علىٰ أصحابه في السفر أن يخدمهم ؛ اغتنامًا لأجر ذلك ؛ منهم : عامر بن عبد قيس ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، مع اجتهادهما في العبادة في أنفسهما ، وكذلك كان إبراهيم بن أدهم يشترط علىٰ أصحابه في السفر الخدمة والأذان .

وكان رجل من الصالحين يصحب إخوانه في سفر الجهاد وغيره ، فيشترط عليهم أن يخدمهم ، فكان إذا رأىٰ رجلاً يريد أن يغسل ثوبه ، قال له : هذا من شرطي ، فيغسله ، وإذا رأىٰ من يريد أن يغسل رأسه ، قال : هذا من شرطي : فيغسله ، فلما مات نظروا في يده ، فإذا فيها مكتوب : «مِن أهل الجنة» ، فنظروا إليها فإذا هي كتابة بين الجلد واللحم .

● وكان ابن المبارك إذا أراد الحج من بلده مرو جمع أصحابه وقال : من يريد منكم الحج ؟ فيأخذ منهم نفقاتهم ، فيضعها عنده في صندوق ويقفل عليه ، ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة ، ويطعمهم أطيب الطعام، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف ، ثم يرجع بهم إلىٰ بلده، فإذا وصلوا صنع لهم طعامًا ، ثم جمعهم عليه ، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم فرد إلىٰ كل واحد نفقته »(٢) .

إن من حقوق الإخوان عليك أن تقضي عنه دينه ، تفك حاجته ، ترفع

---

(١) « جامع العلوم والحكم » (ص٣٢١) طبعة الحلبي .

(٢) « لطائف المعارف » (ص٢٥٩ ـ ٢٦٠) .

فقره وعوزه وإن كان في المشرق وأنت في المغرب ، وبهذا تكون أخاه ويكون أخاك .

قال محمد بن خالد لأبي سليمان الداراني : « يكون الرجل بأفريقية والآخر بسمرقند وهما أخوان ؟ قال : نعم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : تكون نيَّته متى لقيه واساه فإذا كانت نيته كذلك فهو أخوه »(١) .

• زيارتهم في اللَّه :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ؟ النبى في الجنة، والشهيد في الجنة ، والصدِّيق في الجنة ، والمولود في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر في الجنة** »(٢) .

وللَّه در رجال يرسل اللَّه إليهم ملائكة تخبرهم بحبه إياهم :

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **زار رجل أخًا له في قرية ، فأرصد اللَّه مالكا على مدرجته ، فقال : أين تريد ؟ قال : أخا لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة تربُّها ؟ قال : لا إلا أني أحبه في اللَّه ، قال :فإني رسول اللَّه إليك أن اللَّه أحبك كما أحببته**»(٣) .

وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **من عاد مريضًا ، أو زار أخًا له فى اللَّه ، ناداه منادٍ ، أن طِبْتَ وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً** »(٤) .

---

(١) « حلية الأولياء » (٩/ ٢٧٤) .

(٢) حسن : رواه الدارقطني في « الأفراد » ، والطبراني في « الكبير » عن كعب بن عجرة ، وحسنَّه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٦٠٤) .

(٣) رواه أحمد ، ومسلم ، والبخاري في « الأدب » .

(٤) حسن : رواه الترمذي ،و ابن ماجه ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٢٦٣) .

وعن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يروي عن ربه ـ تبارك وتعالي ـ قال : « **حَقَّت محبتي على المتزاورين فيّ** »(١) .

وللَّه در ليث بن أبي سُلَيم حين يقول : « ما من رجل يزور أخاه لا يزوره إلا ابتغاء مرضاة اللَّه ـ عز وجل ـ وتنجيز الموعود ، والتماس ما عنده ، وحفظًا لحق أخيه إلا حيَّاه كل ملك بتحية لا يحيي بها صاحبه ، ثم صاح ورق الجنة وسبَّح ، ثم قيل : هذا فلان زار أخًا له » .

أبو مسلم الخولاني ومعاذ بن جبل وأخُوَّة في اللَّه :

عن أبي مسلم الخولاني قال : أتيت مسجد أهل دمشق ، فإذا حلْقة فيها كهول من أصحاب محمد ﷺ ، وإذا شاب فيهم أكحل العين برَّاق الثنايا كلما اختلفوا في شيء ردُّوه إلى الفتى ، فقلت لجليس لي : من هذا؟ قال : هذا معاذ بن جبل فجئت من العشيّ فلم يحضر ، فغدوت من الغد فلم يجيء ، فخرجت فإذا أنا بالشاب يصلي إلى سارية فركعت ثم تحولت إليه ، قال : فسلم فدنوت منه ، فقلت : إني أحبك في اللَّه تعالى ، قال : فمدّني إليه وقال : كيف قلت ؟ قلت : إني أحبك في اللَّه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **المتحابون في اللَّه على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله** »(٢) .

قال : فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت فذكرت حديث معاذ بن جبل فقال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يحكي عن ربه ـ عز وجل ـ يقول : « **حقت محبتي للمتحابين فيّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ ، وحقت محبتي للمتزاورين في ، والمتحابون في اللَّه علي منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله** »(٣) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الإخوان » ، وإسناده صحيح .
(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٣٧) .
(٣) مر تخريجه .

الفاروق يحب ألف أخ في اللَّه :

قال محارب بن دثار : سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول : « لقد أحببت في اللَّه ـ عز وجل ـ ألف أخ كلهم أعرف اسمه ، واسم أبيه ، واسم قبيلته ، وأعرف مكان داره » .

وقال محارب : حيث قال : « أعرف مكان داره » علمت أنه كان يزورهم ويأتيهم[١] .

وقال عمر بن حَطّان : أحببت ألف أخ كلهم أعرف اسمه واسم أبيه وقبيلته ومكان داره[٢] .

قال أبو سليمان الداراني : قد يعملون بطاعة اللَّه عز وجل ، ويتعاونون علىٰ أمره ، ولا يكونون إخوانًا حتىٰ يتزاوروا ويتباذلوا[٣] .

وقال معروف الكرخي : امش ميلاً صل جماعة ، امش ميلين صل جمعة ، امش ثلاثة أميال عده مريضًا ، امش أربعة أميال شيع جنازة ، امش خمسة أميال شيِّع حاجًّا أو مُعتمراً ، امش ستة أميال شيِّع غازيًا في سبيل اللَّه ، امش سبعة أميال بصدقة من رجل إلىٰ رجل ، امش ثمانية أميال أصلح بين الناس ، امش تسعة أميال صِلْ رحمًا وقرابة ، امش عشرة أميال في حاجة عيالك ، امش أحد عشر ميلاً في معاونة أخيك ، امش بريداً ـ والبريد اثنا عشر ميلاً ـ زر أخًا في اللَّه عز وجل !![٤] .

وكان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ : (إذا بلغه عن شخص

(١) « كتاب الإخوان » لابن أبي الدنيا (ص١١٢) .
(٢) « التبصرة » لابن الجوزي (٢/ ٢٩٩) .
(٣) « كتاب الإخوان » (ص١٢٧) .
(٤) « التبصرة » لابن الجوزي (٢/ ٣٠٠) .

صلاح أو زهد ، أو قيام بحق ، أو اتباع للأمر ، سأل عنه ، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله)[١] .

وانظر أخي إلى اتفاق القلوب على المودة :

قال مجاهد : مرَّ على عبد اللَّه بن عباس رجل فقال : إن هذا يحبني ، فقيل : أَنَّى علِمْتَ ذلك ؟ قال : إني أحبه . . .

قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل : « لَمَّا أُطلق أبي من المحنة ، خشي أن يجيء إليه إسحاق بن راهويه ، فرحل أبي إليه ، فلما بلغ الريّ دخل إلى مسجد ، فجاء مطر كأفواه القرب ، فلما كانت العتمة قالوا له : اخرج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه ، فقال لهم : هذا مسجد اللَّه وأنا عبد اللَّه ، فقيل له أيما أحب إليك أن تخرج أو نجرَّ برجلك ؟ قال أحمد : فقلت : سلاماً ، فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ، ولا أين أتوجه ، فإذا رجل قد خرج من داره فقال لي : يا هذا أين تمرُّ في هذا الوقت ؟ فقلت : لا أدري أين أمرُّ : فقال لي : ادخل ! فأدخلني داراً ونزع ثيابي ، وأعطوني ثيابًا جافة وتطهرت للصلاة ، فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة ، فقيل لي : كُلْ ، فأكلت معهم ، فقال لي : من أين أنت ؟ فقلت : أنا من بغداد فقال لي : تعرف رجلاً يُقال له أحمد ابن حنبل ؟ فقلت : أنا أحمد بن حنبل ، فقال لي : وأنا إسحق بن راهويه »[٢] .

وفي أحمد بن حنبل قال إسحاق : لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام .

---

(١) « مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي (ص٢١٨) .
(٢) « مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي (ص٣٨٠) .

ولله در القائل :

قد يقطع الرحم القريب وتُكفر النعماء ولا كتقارب القلبين
يُدْي الهوى هذا ويُدْي ذا الهدى فإذا هما نفسٌ ترى نفسيْن(١)

تحفة النفس للنفس :

زيارة الأخ في اللَّه هي تحفة النفس للنفس ، ليست مناخًا للبطَّالين الفارغين أو ملجأً للمتعطلين ، بل هي مجالس قدسية لا يطؤها المسرفون ، وأفضل الإخوان رجل مكنك من نفسه حتىٰ تزرع فيه خيراً ، فإنه نعم العون لك علىٰ كمالك .

قال أبو عبيد القاسم : « زرت أحمد بن حنبل في بيته ، فأجلسني في صدر داره وجلس دوني ، فقلت : يا أبا عبد اللَّه ، أليس يقال : صاحب البيت أحق بصدر بيته ؟

فقال : نعم ! يقعد ويُقعد من يريد ، قال : فقلت في نفسي : خذ إليك يا أبا عبيد فائدة ، قال : ثم قلت له : يا أبا عبد اللَّه ، لو كنت آتيك علىٰ نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم ، فقال : لا تقل ، إن لي إخوانًا لا ألقاهم إلا في كل سنة مرة أنا أوثق بمودتهم ممن ألقىٰ كل يوم .

قال : قلت : هذه أخرىٰ يا أبا عبيد ، فلما أردت القيام ، قام معي ، فقلت : لا تفعل يا أبا عبد اللَّه ، فقال : قال الشعبي : من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلىٰ باب الدار وتأخذ بركابه ، قال : فقلت : يا أبا عبيد هذه الثالثة ، قال : فمشىٰ معي إلىٰ باب الدار وأخذ بركابي »(٢) .

* * *

(١) « العقد الفريد » لابن عبد ربه (٢/ ٩١٣) .
(٢) « مناقب الإمام أحمد » (ص١١٣) .

يغسل رجل أخيه :

روى الخطيب البغدادي في « تاريخه » عن النقاش أنه قال : « بلغني أن بعض أصحاب محمد بن غالب أبي جعفر المقرئ جاء في يوم وحل وطين، فقال له : كيف أشكر هاتين الرجلين اللتين تعبتا إليَّ في مثل هذا اليوم لتكسباني الثواب ؟ ثم قام بنفسه فاستقى له الماء وغسل رجليْه!»[1] .

حق الأخ على اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى :

أما السكوت ، فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته ، بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه ، وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله .

وليسكن عن أسراره التي بثها إليه ، ولا يبثها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ، ولا يكشف منها ولو بعد القطيعة والوحشة ، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن .

قالوا : صدور الأحرار قبور الأسرار .

وقيل لرجل : كيف حفظك للسر ؟ قال : أستره وأستر أني أستره .

قال ابن المعتز :

ومستودعي سِـــرًا تبوّأت كتمه ... فأودعته صـدري فصـــار له قبرًا

وقال آخر :

والسِرُّ في صــــدري كثـاوٍ بقبره ... لأني أرى المقبـــور ينتظر النشرا
ولكنــي أنســـاه حتى كأنني ... بما كان منه لم أُحِطْ ساعة خُبرًا
ولو جاز كتم السـرِّ بيني وبينه ... عن السر والأحشاء لم تعلم السرًا

(١) « تاريخ بغداد » (٣/ ١٤٣).

وأفشى بعضهم سرًّا له إلى أخيه ثم قال له : حفظت ؟ فقال : بل نسيت .

قال أبو سعيد الثوري : إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ، ثم دسَّ عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيراً وكتم سرَّك فاصحبه .

ومن السكوت أن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده ، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإن الذي سبك من بَلَّغَكَ ، وليعلم أن من طلب مُنَزَّها عن كل عيب اعتزل عن الخلق كافة ، ولن يجد من يصاحبه أصلاً ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوئ ، فإذا غلبت المحاسن المساوئ ، فهو الغاية والمنتهى ، فالمؤمن الكريم أبدًا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام ، وأما المنافق اللئيم فإنه أبدًا يلاحظ المساوئ والعيوب .

قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات ، وقال الفضيل : الفتوة : العفو عن زلات الإخوان .

قال الشافعي - رحمه اللَّه - : « ما أحد من المسلمين يطيع اللَّه ولا يعصيه ، ولا أحد يعصي اللَّه ولا يطيعه ، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل ، وإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق اللَّه ، فبأن تراه عدلاً في حق نفسك ومقتضى أُخُوَّتك أولى .

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه : « **لا تحسَّسُوا ولا تجسَّسُوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللَّه إخوانًا** » .

فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين ، ويكفيك تنبيهًا على كمال الرتبة في ستر القبيح ، وإظهار الجميل أن اللَّه تعالى وُصف به في الدعاء قيل : يا مَنْ أظهر الجميل وستر القبيح ، والمرضيُّ عند اللَّه من تخلَّق بأخلاقه فإنه ستَّار العيوب وغفَّار الذنوب ومتجاوز عن العبيد ،

فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك .

كيف تصنع إذا رأيت أخاك نائمًا وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ أتستره وتغطيه ؟ أم تكشف عورته ؟ فما بالك تسمع الكلمة في أخيك فتزيد عليها وتسيغها بأعظم منها فالأخ من يعلم منك ما يعلم اللَّه ، ثم يستر عليك كما يستره اللَّه .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1] .

وأقل درجات الأُخُوَّة أن تعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به ، ولا شك أنك تنتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوئ والعيوب ، ولو ظهر لك منه نقيض ما تنتظره اشتد عليه غيظك وغضبك ، فما أبعدك إذا كنت تنتظر منه ما لا تضمره له ولا تعزم عليه لأجله ، وويل لك في نص كتاب اللَّه حيث قال : ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾[2] .

وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ، واصحب من كل صدق الأخوة ثابتًا عنده على اختلاف الأحوال عند غضبه ورضاه ، وعند طمعه وهواه ، وللَّه در القائل :

وترى الكريم إذا تصرَّم وصلُه ... يخفي القبيح ويظهر الإحسانَ
وترى اللئيم إذا تقضَّى وصلُه ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

---

(١) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه عن أنس .
(٢) سورة المطففين الآيات (١ : ٣) .

السكوت عن مماراته وجداله :

فالمماراة والمنافسة عين التدابر والتقاطع ، فإن التقاطع يقع أولاً بالآراء ، ثم بالأقوال ، ثم بالأبدان ، وقد قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد اللَّه إخوانًا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله ، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم** »(١) ، وأشد الاحتقار المماراة .

وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته .

وقال عبد اللَّه بن الحسن : إياك ومماراة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم .

وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصَّر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وعلى الجملة ، فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله ، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحق والجهل ، ولا معنى للمعاداة إلا هذا ، فكيف تضامنه الإخوه والمصافاة ؟ »(٢) .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه** »(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس .
(٢) « الإحياء » (٢/ ١٩٥-١٩٦) .
(٣) حسن : رواه أبو داود ، والضياء في « المختارة » عن أبي أمامة ، وحسنَّه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٤٦٤) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه ، إلا أُوتوا الجدل**»(١) .

وقد انتهىٰ السلف في الحذر عن المماراة والحض علىٰ المساعدة إلىٰ حدٍّ لم يروا السؤال أصلاً ، وقالوا : إذا قلت لأخيك قم فقال إلىٰ أين ؟ فلا تصحبه ، بل قالوا : ينبغي أن يقوم ولا يسأل .

وقال أبو سليمان الداراني : كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول : أعطني من مالك شيئًا ، فكان يلقي إليَّ كيسه فآخذ منه ما أريد ، فجئته ذات يوم فقلت : أحتاج إلىٰ شيء ، فقال : كم تريد ؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي .

وقال آخر : إذا طلبت من أخيك مالاً ، فقال : ماذا تصنع به ؟ فقد ترك حق الإخاء .

واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل .

قال أبو عثمان الحيري : « موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم »(٢) .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق بالمحاب :

« **بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور** »(٣) .

فمن ذلك : « أن يتودد إليه بلسانه ، ويتفقده في أحواله التي يجب أن يُتفقد فيها ، وكذا جملة أحواله التي يكرهها بلسانه وأفعاله ينبغي أن يظهر كراهتها ، وجملة أحواله التي يُسرُّ بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها ، فمعنىٰ الأخوة المساهمة في السراء والضراء .

(١) حسن : رواه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٣٣) ، و« المشكاة » (١٨٠) ، و« صحيح الترغيب » رقم (١٣٧) .
(٢) « الإحياء » (٢/١٩٦) .
(٣) « الإحياء » (٢/١٩٦) .

• ومن ذلك أن يخبره بمحبته له :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا أحب أحدكم أخاه فليُعْلِمْه أنه يحبه** »[(١)] .

وقال ﷺ : « **إذا أحب أحدكم أخاه في اللَّه فليعلمه ، فإنه أبقى في الأُلفة ، وأثبت في المودة** »[(٢)] .

وقال ﷺ : « **إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله ، فليخبره أنه يحبه للَّه**»[(٣)] ، وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب ، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف .

• ومن ذلك أن يدعوه بأحب الأسماء إليه في غيبته وحضوره :

قال عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ : ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً ، وتوسِّع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

• ومن ذلك أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده :

فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة ، وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد .

• ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك ، بل على نيّته وإن لم يتم ذلك :

قال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة .

---

(١) سبق تخريجه ، وهو صحيح .

(٢) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الإخوان » عن مجاهد مرسلاً ، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١١٩٩) ، و« صحيح الجامع » رقم (٢٨٠) .

(٣) سبق تخريجه .

• وأعظم من ذلك الذب عنه في غيبته مهما قُصد بسوء أو تُعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض :

فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة ، وتبكيت المتعنِّت وتغليظ القول عليه وقد قال رسول اللَّه ﷺ : «**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، وعرضه وماله ودمه ، التقوى ها هنا ـ وأشار إلى القلب ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»[١] .

وهذا من الانثلام والخذلان ، فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله تمزيق لحمه .

فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفاع عنك ! وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبَّهه اللَّه تعالى بأكل لحوم الميتة فقال : ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا** ﴾[٢] ا . هـ . من « إحياء علوم الدين » .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **من ذب عن عرض أخيه بالغيبة ، كان حقًا على اللَّه أن يعتقه من النار** »[٣] .

وقال ﷺ : « **من رد عن عرض أخيه ، كان له حجابًا من النار** »[٤] .

وقال ﷺ : «**من رد عن عرض أخيه،رد اللَّه عن وجهه النار يوم القيامة**»[٥] .

---

(١) رواه البخاري « صحيح الجامع » .

(٢) سورة الحجرات الآية (١٢) .

(٣) صحيح : رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » عن أسماء بنت يزيد ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٤٠) ، و« غاية المرام » (٤٣١) .

(٤) صحيح : رواه البيهقي في « سننه » عن أبي الدرداء ، وصححه الألباني في « غاية المرام » رقم (٤٣١) ، وصححه في « صحيح الجامع » رقم (٦٢٦٣) .

(٥) صحيح : رواه أحمد والترمذي عن أبي الدرداء ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٢٦٢) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من نصر أخاه بالغيب ، نصره اللّه في الدنيا والآخرة** »[١] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن يُنتقص فيه من عرضه ، ويُنتهك فيه من حرمته ، إلاخذله اللّه تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلمًا يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته ، إلا نصره اللّه في موطن يحب فيه نصرته** »[٢] .

- **ومن حق الأخ ألا ترفع صوتك عليه ولا تخاطبه إلا بما يفقه :**
- **التعليم والنصيحة :**

فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، فإن كنت غنيًا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا وعليك بنصحه ، وإن استنصحك فاجتهد في ذلك .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن الدين النصيحة للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** »[٣] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إنما الدين النصح** »[٤] ، وقال رسول اللَّه ﷺ :

---

(١) حسن : رواه البيهقي في « السنن » ، والضياء عن أنس ؛ وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٥٧٤) .

(٢) حسن : رواه أحمد وأبو داود ، والضياء في « المختارة » عن جابر وأبي طلحة بن سهل ، ورواه الطبراني في « الأوسط » عن جابر وأبي أيوب الأنصاري وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٩٠) .

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري ، والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ، وأحمد عن ابن عباس .

(٤) صحيح : رواه أبو الشيخ في « التوبيخ » عن ابن عمر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٣٢٤) .

« **الدين النصيحة** »[١] ، وقال رسول اللَّه ﷺ : « « **المستشار مؤتمن** »[٢] ، وينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطَّلع عليه أحد ، فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة ، إذ قال رسول اللَّه ﷺ : « **المؤمن مرآة المؤمن** »[٣] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكُفُّ عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه** »[٤] .

وقال الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ : « من وعظ أخاه سراً فقط نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه » .

قال ذو النون : « ألا تصحب مع اللَّه إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة» .

الحق الخامس : العفو عن الزلات والهفوات :

وهفوة الصديق لا تخلوا إما :

ـ أن تكون في دينه بارتكاب معصية .

ـ أو في حقك بتقصيره في الأخوة .

---

(١) صحيح : رواه البخاري في « التاريخ » عن ثوبان ، والبزار عن ابن عمر ، وابن نصر عن أبي عمر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٤١٧) .

(٢) رواه أصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة ، والترمذي عن أم سلمة ، وابن ماجة عن ابن مسعود ، والبخاري في « الأدب » والطحاوي والبيهقي في « الشعب » عن أبي هريرة ، وأحمد والدارمي وابن حبان عن أبي مسعود الأنصاري وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٦٤١) .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » ، والضياء عن أنس ، وهو في « صحيح الجامع » رقم (٦٥٣١) .

(٤) حسن : رواه البخاري في « الأدب » ، وأبو داود في « سننه » عن أبي هريرة ، وابن وهب في «الجامع» ، هو في « صحيح الجامع » رقم (٦٥٣٢) .

أما ما يكون في الدين ـ :

من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ، ويعيد إلىٰ الصلاح والورع حاله ، فإن لم تقدر وبقي مصرّا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته :

١ ـ فذهب أبو ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ إلىٰ الانقطاع وقال : إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ، ورأىٰ ذلك من مقتضىٰ الحب في اللَّه والبغض في اللَّه وهذا هو أحد المعنيين في قوله ﷺ : «**اجتمعا عليه وتفرقا عليه**» ، أي أنه إذا أحدث أحدهما ما لا يرضي اللَّه فارقه الآخر ، فإذا عاد إلىٰ اللَّه وإلىٰ ما يرضي اللَّه عاد إليه ، فيكون حب اللَّه هو العلة ، يدور معها ترابطهم وجوداً وعدمًا .

٢ ـ وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلىٰ خلافه ، فقال أبو الدرداء : إذا تغيَّر أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوَّج مرة ويستقيم أخرىٰ .

وقال إبراهيم النخعي : لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً .

حكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة ، فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره ؟ فقال : أحوج ما كان إليَّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وأدعو له بالعود إلىٰ ما كان عليه .

وطريقة أبي ذر أحسن وأسلم وطريقة أبي الدرداء ألطف وأفقه :

أما كونها ألطف فلما فيها من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي إلىٰ

الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ، ومهما قوطع وانقطع عن الصحبة أصر واستمر .

وأما كونها أفقه فمن حيث أن الأخوة عقد ينزل منزل القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ، ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره ، وفقر الدين أشدُّ من فقر المال ، فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب .

والقريب ينبغي أن لا يهجر من أجل معصيته ، حتى يُقام له بواجب النصيحة ، وذلك لأجل قرابته ، قال اللَّه تعالى لنبيه في عشيرته : ﴿ **فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[1] ، ولم يقل إني برئ منكم ، مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب ، ولهذا أشار أبو الدرداء لما قيل : ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا ؟ فقال : إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي ، وأخوة الدين أوكد من إخوة القرابة .

وكذلك التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان ، كما أن مقارفة العصيان من محابه ، فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني ، « انتهى ملخصاً من إحياء علوم الدين » .

ـ أما هفواته وتقصيره في حقك ـ :

فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه ، والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء ، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة ، فالعتاب في السر خير من القطيعة ، والتعريض به خير من التصريح ، والمكاتبة خير من المشافهة ، والاحتمال خير من الكل .

بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصوَّر تمهيد عذر فيه قريب

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢١٦) .

أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة ، فقد قيل : ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرًا ، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك : ما أقساك ! يعتذر إليك أخوك سبعين عذر فلا تقبله ، فأنت المعيب لا أخوك .

قال الشافعي : « من استرضي فلم يرضي فهو شيطان » ، فاسترضي قلبك بنفسك نيابة عن أخيك ، واحترز أن تكون شيطانًا إن لم تقبل .

قال الأحنف : حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثًا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة .

وأغفر عوراء الكريم ادخاره   وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل :

خذ من خليلك ما صفا   ودع الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا   تبه الخليل على الغِيَر

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبًا كان أو صادقًا فاقبل عذره .

نعم . . . إنه لا مُبرأ من سهو وزلل ، ولا سليم من نقص أو خلل ، ومَنَ رام سليمًا من هفوة ، والتمس بريئًا من نُبوة ، فقد تعدىٰ على الدهر بشططه وخادع نفسه بغلطه ، وكان من وجود بغيه بعيدًا ، وصار باقتراحه فردًا وحيدًا .

وقد قالت الحكماء : « لا صديق لمن أراد صديقًا لا عيب فيه » .

وقيل لأحدهم : هل من أحد لا عيب فيه ؟ قال : من لا موت له .

وقال بعض الأدباء : ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم : حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملال ، قال ابن الرومي :

فعذرك مبسوطٌ لذنب مقدّم   وودك مقبولٌ بأهل ومرْحبِ

ولو بَلَّغَتْني عنك أذني أقمتُها لديَّ مقام الكاشح [1] المتكذِّبِ
فلستُ بتقليب اللسان مصارمًا خليلاً إذا ما القلب لم يتقلَّبِ

وإذا كان الإغضاء حتمًا ، والصفح كرمًا ، ترتَّب بحسب الهفوة وتنزَّل بقدر الذنب ، والهفوات نوعان : صغائر وكبائر :

فالصغائر : مغفورة ، والنفوس بها معذورة ، فالعتب مستقبح .

وأما الكبائر فنوعان :

الأول : أن يهفو بها خاطئا ، ويزل بها ساهيًا ، فالحرج فيها مرفوع ، والعتب عليها موضوع ، لأن هفوة الخاطئ هدر ، ولومه هذر .

قال بعض الحكماء : لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه .

والثاني : أن يعتمد ما اجترم من كبائره ، ويقصد ما اجترح من سيئاته فهذا الأخ الذي استحدث نَبْوة وتغيُّرًا ، واستجدَّ جفوة وتذكرًا ، وأبدىٰ صفحة عقوقه ، واطَّرح لازم حقوقه ، وعدل عن بر الإخاء إلىٰ جفوة الأعداء لا تقابله علىٰ الجفوة ، ولا تعاقبه علىٰ الهفوة ، ولا تقابل العقوق بالعقوق ، لا بالفضل أخذت ولا إلىٰ العفو أخلدت ، وقد علمت أن نفسك قد تطغىٰ عليك فترديك ، وأن جسمك قد يسقم عليك فيؤلمك ويؤذيك وهما أخص بك وأحنىٰ عليك من غيرك من صديق قد تميز بذاته ، وانفصل بأدواته ، فتريد من غيرك لنفسك ما لا تجده من نفسك لنفسك ، وهذا عين المحال ومحض الجهل ، فلا تتخذ عدوًا واحدًا والواحد كثير ، واتخذ ألف صديق والألف قليل ، واعلم أن العفو والعقوبة بمنزلة الجود والبخل ، فتمسك بأيهما شئت .

فإذا كان الأمر علىٰ ما وصفت ، فمن حقوق الصفح : الكشف عن

---

(١) العدو البغيض .

سبب الهفوة ، ليعرف الداء فيعالجه ، ولا يخلوا حال السبب من أن يكون لملل أو زلل ، فإن كان لملل ، فمودات المَلول ظل الغمام ، وحلم النيام ، وإن كان لسبب لُوحظت أسبابه ، فإن كان لها مدخل في التأويل ، وشبهة تؤول إلىٰ جميل ، حمله علىٰ أجمل تأويل ، وصرفه إلىٰ أحسن جهة .

مر علىٰ خالد بن صفوان صديقان له ، فعرَّج عليه أحدهما ، وطواه الآخر ، فقيل له في ذلك ، فقال : نعم ، عرَّج علينا هذا بفضله ، وطوانا هذا بثقته بنا .

فإن لم يكن للزلل في التأويل مدخل ، نظر حاله بعد الزلل ، فإن ظهر ندمه ، وبان خجله، فالندم توبة ، والخجل إنابة ، ولا ذنب لتائب ، ولا لوم علىٰ منيب ، ولا يُكَلَّفُ عذراً عما سلف ، فيلجأ إلىٰ ذل التحريف ، أو خجل التعنيف ، وشفيع المذنب إقراره ، وتوبته اعتذاره ، ومن لم يتقبل التوبة عظمت خطيئته ، ومن لم يحسن إلىٰ التائب قبحت إساءته ، والكريم من أوسع بالمغفرة ، إذا ضاقت بالذنب المعذرة ، وإن عجَّل العذر قبل توبته، وقدم التنصل قبل إنابته ، فالعذر توبة ، والتنصل إنابة ، فلا يكشف عن باطن عذره ، ولا يُعَنَّفُ بظاهر عذره ، وشافع المذنب خضوعه إلىٰ عذره .

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن برَّ عندك فيما قال أو فَجَرَا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلَّك من يعصيك مستترا

وإن ترك نفسه في الزلل ، ولم يتداركه بعذره وتنصله ، فلا ينفعك حاله عن أمور ثلاث :

أحدها : أن يكون قد كف عن سيئ عمله ، وأقلع عن سالف الزلل ، فالكف إحدىٰ التوبتين ، والإقلاع أحد العذرين ، فكن أنت المعتذر عنه بصفحك والمتنصل له بفضلك ، فقد قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللّٰه عنه ـ :

المحسن على المسيء أمير .

الثاني : أن يكون قد وقف على ما أسلف من الزلل ، غير تارك ولا متجاوز ، فوقوف المرض أحد البرأين ، وكفه عن الزيادة إحدى الحسنيين ، صلاح شطره الآخر ، وإياك وإرجاءه ، فإن الإرجاء يفسد شطره صلاحه ، والتلافي يصلح شطر فساده .

الثالث : أن يتجاوز مع الأوقات ، فيزيد فيه على مرور الأيام ، فهذا هو الداء العضال ، فإن أمكن استدراكه ، وتأنّي استصلاحه ، وذلك باستنزاله عنه إنْ علا ، وبإرغابه إنْ دنا ، وبعتابه إن ساوى فذاك ، وإلا فآخر الداء العياء الكيّ ومَنْ بلغَت به الأعذار إلى غايتها ، فلا لائمة عليه .

الحق السادس : الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته :

« الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به ، فتدعو له كما تدعوا لنفسك ، ولا تفرق بين نفسك وبينه ، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق .

قال رسول اللّه ﷺ : « **من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات ، كتب اللّه له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة** »[1] .

وقال ﷺ : « **دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يُرَدّ** »[2] .

وقال ﷺ : « **دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه مَلَكٌ مُوَكّلٌ به ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك : آمين ، ولك بمثل ذلك** »[3] .

---

(١) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » عن عبادة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٠٢٦) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٢١٠) : وإسناده جيد .

(٢) صحيح : رواه البزار عن عمران بن حصين ، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم(١٣٣٩) ، و« صحيح الجامع » رقم (٣٣٧٩) .

(٣) رواه أحمد ، ومسلم وابن ماجه عن أبي الدرداء .

وقال رسول اللّه ﷺ : « **دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، وملك عند رأسه يقول : آمين ولك بمثل ذلك** »[١] .

وقال رسول اللّه ﷺ : « **ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب ، إلا قال الملك : ولك بمثل** »[٢] .

وقال ﷺ : « **من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثله** »[٣] .

وكان أبو الدرداء ـ رضي اللّه عنه ـ يقول : إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم[٤] .

وكان الإمام يحيىٰ بن سعيد القطان يدعو لألف إنسان كل يوم .

وقال القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي : قال لي أحمد بن حنبل : أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحراً[٥] .

وروىٰ الخطيب البغدادي في ترجمة الطيب إسماعيل أبي حمدون أحد القراء المشهورين قال : « كان لأبي حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه ، وكان يدعو لهم كل ليلة ، فتركهم ليلة فنام ، فقيل له في نومه : يا أبا حمدون : لِمَ لْم تسرج مصابيحك الليلة ، قال : فقعد فأسرج ، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتىٰ فرغ »[٦] .

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول : « وأين مثل الأخ الصالح ؟

---

(١) صحيح : رواه أبو بكر في « الغيلانيات » عن أم كرز ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٣٨٢) .

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٤٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود عن أبي الدرداء .

(٤) « الإحياء » (٢/ ٢٠٢) .

(٥) « السير » (١١/ ٢٢٧) .

(٦) « تاريخ بغداد » (٩/ ٣٦١) .

أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون مما خلفت ، وهو منفرد بحزنك ، مهتم مما قدمت وما صرت إليه ، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرىٰ »(١) ، نعم يدعو لك وأنت بين أطباق الثرىٰ ويدخل من دعائه علىٰ قبرك من الأنوار مثل الجبال .

حقوق الأخوة في القلب :

من حق الأخ علىٰ أخيه في اللَّه عز وجل الوفاء والإخلاص في محبته ، وحسن الظن به ، والتواضع لإخوانه ، ويسيء الظن بنفسه .

الحق السابع : الوفاء والإخلاص :

ومعنىٰ الوفاء : الثبات علىٰ الحب وإدامته إلىٰ الموت معه ، وبعد الموت، ومع أولاده وأصدقائه ، فإن الحب إنما يراد للآخرة ، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ، وقال بعضهم ، قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة .

ومن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه ، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر ، إذ لا يدل علىٰ الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلىٰ كل من يتعلق به ، حتىٰ الكلب الذي علىٰ باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب .

ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان ، فإنه لا يحسد متعاونين علىٰ بر كما يحسد متواخيين في اللَّه ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما »(٢) .

---

(١) « الإحياء » (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) .
(٢) « الإحياء » (٢/ ٢٠٣) .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما تواد اثنان فى اللَّه فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما** »(١) .

قال بشر الحافي : إذا قصر العبد في طاعة اللَّه سلبه اللَّه من يؤنسه .

وقال ابن المبارك : ألذ الأشياء مجالسة الإخوان .

ومن ثمرات المودة في اللَّه أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا ، وكيف يحسده وكلُّ ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته .

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه ، فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم ، قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشنِ

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أنت تكون شديد الجزع من المفارقة ، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها ... سِوى فرقة الأحباب هيِّنةَ الخَطْبِ

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال : لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يُخَيَّلُ إلي أن حسرتهم ذهبت من قلبي .

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه .

ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه .

قال الشافعي - رحمه اللَّه - : إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك .

---

(١) صحيح : رواه البخاري في « الأدب المفرد » عن أنس ، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (٦٣٧) ، و« صحيح الجامع » رقم (٥٦٠٣) .

من تمام الوفاء النصح للَّه :

قال الغزالي : « اعلم أن ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين ، بل الوفاء له المخالفة ، فقد كان الشافعي - رضي اللَّه عنه - آخىٰ محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول : ما يقيمني بمصر غيره ، فاعتلَّ محمد فعاده الشافعي - رحمه اللَّه تعالىٰ - فقال :

مرض الحبيـــب فعدتـــه ... فمرضـــت من حذري عليه

وأتـى الحبـيب يعودنـــي ... فبـــرئت من نظـــري إليـه

فظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوِّض أمر حلقته إليه بعد وفاته ، فقيل للشافعي في علته التي مات فيها - رضي اللَّه تعالىٰ عنه - : إلىٰ من نجلسُ بعدك يا أبا عبد اللَّه ؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم - وهوعند رأسه - ليومي إليه ، فقال الشافعي : سبحان اللَّه أيُشَكُّ في هذا ؟ أبو يعقوب البويطي ؟ فانكسر لها محمد ، ومال أصحابه إلىٰ البويطي مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله ، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلىٰ الزهد والورع ، فنصح الشافعي للَّه وللمسلمين ، وترك المداهنة ، ولم يُؤثر رضا الخلق علىٰ رضا اللَّه تعالىٰ ، فلم توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ، ورجع إلىٰ مذهب أبيه ودرس كتاب مالك - رحمه اللَّه - وهو من كبار أصحاب مالك - رحمه اللَّه - وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة ، واشتغل بالعبادة ، فصنف كتاب« الأم » الذي يُنسَبُ الآن إلىٰ الربيع بن سليمان ويعرف به ، وإنما صنَّفه البويطي ، ولكن لم يذكر نفسه فيه ، ولم ينسبه إلىٰ نفسه ، فزاد الربيع فيه وتصرَّف وأظهر ، والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح للَّه »(١) .

---

(١) « الإحياء » (٢/ ٢٠٤) .

حسن الظن بأخيه :

قال اللَّه عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾(١) .

وقال النبي ﷺ : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** »(٢) .

كما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئ أخيك ، فكذلك يجب عليك السكوت بقلبك ، وذلك بترك إساءة الظن ، فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضًا ، وحَدُّهُ أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكنك أن تحمله على سهو ونسيان إن أمكن .

قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ : « ولاتظنَنَّ بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً » .

لقد نظر عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ يومًا إلى الكعبة فقال : «ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة منك » ، نعم . . . والمؤمن أعظم حرمة منك وأن يظن به إلا خيراً . . .

قال أبو بكر الكتاني : صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً ، فوهبت له شيئًا بنية أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل ، فخلوت به يومًا وقلت له : ضع رجلك على خدي فأبى ، فقلت له : لابد من ذلك ، ففعل ذلك فزال ما كنتُ أجد في باطني .

قال الرقي : قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية(٣) .

قال الربيع بن سليمان : « دخلت على الشافعي وهو

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٢) .
(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأبو داود .
(٣) « لطائف المعارف » للسهرودي (ص٢٨٣) .

مريـض ، فقلت له : قوّىٰ اللَّه ضعفـك ، فقال : لو قوّىٰ ضعفـي قتلني ، فقلت : واللَّه ما أردت إلا الخيـر ، قال : أعلـم أنك لو شتمتـني لم تُـرد إلا الخير »[(١)] .

التواضع لإخوانه ، وإساءة الظن بنفسه :

ومن حقوق الأخوة القلبية أن يتواضع لإخوانه ، ويسيء الظن بنفسه ، فإذا رآهم خيراً من نفسه ، يكون هو خيراً منهم .

قال أبو معاوية الأسود : إخواني كلهم خيراً مني ، قيل : وكيف ذلك؟ قال : كلهم يرىٰ لي الفضل عليه ، ومن فضّلني علىٰ نفسه فهو خيراً مني ، ومهما رأي الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه ، وهذا في عموم المسلمين مذموم .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** »[(٢)] .

الحق الثامن : التخفيف وترك التكلف والتكليف :

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه ، ويرفهه عن أن يحّمله شيئًا من أعبائه وتمام التخفيف بطيّ بساط التكليف حتىٰ لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه .

قال الجنيد : ما تواخىٰ اثنان في اللَّه فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلاّ لعلّة في أحدهما .

قال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ : شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلي مداراة وألجأك إلىٰ اعتذار .

---

(١) « مناقب الشافعي » للرازي (ص٢٧٤) .

(٢) جزء من حديث صحيح .

وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يزور أحدهما أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه ، وقالوا : من سقطت كُلفته دامت أُلفته ومن خفَّت مُؤنته دامت مودته .

قال جعفر الصادق ـ رحمه اللَّه ـ : أثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منه ، وأخفُّهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي .

وقال آخر : لا تصحب إلاَّ من يتوب عنك إذا أذنبت ، ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه ، وهذا منتهى الكمال وهو نادر وقليل ، فعلى المرء أن يقوم بهذه الشروط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه ، إذ به يكون مؤاخيًا في اللَّه وإلا كانت مؤاخاته لحظوظ نفسه فقط .

حقوق أخرى على الجوارح :

١ ـ البصر :

فحق الإخوان على البصر : أن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك ، وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ، ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك .

٢ ـ السمع :

وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذاً بسماعه ومصدقًا به ومظهراً للاستبشار به ، ولا تقطع حديثهم عليهم بمرارة ولا منازعة ومداخلة واعتراض ، فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون .

٣ ـ اليدان :

وأما اليدان : فأن لا يقبضهما عن معاونتهم في كل ما يتعاطى باليد .

٤ ـ الرجلان :

وأما الرجلان : فأن يمشي بهما وراءهم مشي الأتباع لا مشي المتبوعين، ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ، ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ، ويقوم لهم إذا أقبلوا ، ولا يقعد إلا بقعودهم ، ويقعد متواضعًا حيث يقعد.

ومهما تم الاتحاد خفَّ حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فإنها من حقوق الصحبة ، وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف ، فإذا تم الاتحاد انطوىٰ بساط التكلفة بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه، لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب .

ومهما صفت القلوب استغنىٰ عن تكلف إظهار ما فيها ، ومن كان نظره إلىٰ صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ، ومن كان نظره إلىٰ الخالق لزم الاستقامة ظاهراً وباطنًا ، وزين باطنه بالحب للَّه ولخلقه ، وزين ظاهره بالعبادة للَّه والخدمة لعباده فإنها أعلىٰ أنواع الخدمة للَّه ، إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ، ويُدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة»(١) .

مواقف أغرب من الخيال :

قال أبو إياس : إذا اصطحب الرجلان فتقدم أحدهما ، فقد أساء الصحبة .

وقال عبد اللَّه بن قيس : من حق الصاحب على الصاحب ، إذا بالت دابته أن يقف له .

وقال محمد بن مناذر : كنت أمشي مع الخليل بن أحمد فانقطع شِسْعي ، فخلع نعله ، فقلت : ما تصنع ؟ قال : أواسيك في الحفاء .

(١) «إحياء علوم الدين» بتصرف (٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

وقال بكر بن عبد اللّه : إذا كنت مع صاحب لك فتخلف ببول فلم تقم عليه حتىٰ يقضي بوله ، فلست له بصاحب ، وإذا انقطع شسعه فقام يصلحه ، فلم تقم عليه ، فلست له بصاحب .

فداء الأخ بالنفس :

إذا صح الودُّ ، وقع فداء الأخ بالنفس :

« عن محمد بن داود قال : سمعت أبا بكر القرطبي ، وأبا عمرو الآدمي يقولان : ـ وكانا يتآخيان في اللّه تعالىٰ ـ خرجنا من بغداد نريد الكوفة ، فلما سرنا في بعض الطريق ، إذا نحن بسبعْين رابضين علىٰ الطريق ، فقال أبو بكر لأبي عمرو أنا أكبر منك سنًا فدعني أتقدمك ، فإن كان حادثة اشتغلا بي عنك ، وجزت أنت ، فقال له أبو عمرو : نفسي ما تسامحني بهذا ، ولكن نكون جميعًا في مكان واحد ، فإن كانت حادثة كنا جميعًا ، فجازا جميعًا بين السبعين ، فلم يتحركا ومرًّا سالمين »[١] .

أستاذ الأستاذين إبراهيم بن أدهم :

« خرج إبراهيم بن أدهم ـ رحمه اللّه ـ في سفر ومعه ثلاثة نفر ، فدخلوا مسجدًا في بعض المفاوز ، والبرد شديد ، وليس للمسجد باب ، فلما ناموا قام إبراهيم ، فوقف علىٰ الباب إلىٰ الصباح ، فقيل له : لِمَ لمْ تنم ؟ فقال : خشيت أن يصيبكم البرد ، فقمت مقام الباب »[٢] .

يا مَنْ تنهش في أحشائي
يا مَنْ منّي .. يا مَن جزءًا من أجزائي
يا مَنْ تبدو للجُهّال كأنك دائي

(١) « التبصرة » (٢/ ٣٠٢ـ٣٠٣) .
(٢) « التبصرة » لابن الجوزي (٢/ ٣٠١ـ٣٠٢) .

إني أعلم أنك حتماً فيك شفائي
إنك مني ... أنت كأني لست أرائي
إنك مسلم تشهد أن إلهك واحد
إنك فيها من شركائي
إنك مني ... أنت كأني حين شقائي
حين جهلت طريق إلهي
من عند الألف إلى الياءِ
حين تصوّرتَ الدنيا
حِسّي وغذائي وكسائي
لكنك دوماً تطعنني.. من خلفي ومن كعب حذائي
حين أراك تقوم بهذا
يُغرقني خجلي وحيائي
ووشاة القوم إذا بانوا
تسري الطعنة في أحشائي
ابغ العزة عند إلهك ... ليس العز دمي وبكائي
وغداً من قواك يميتك ... إن أنت أهملت ندائي
يا من تنهش في أحشائي ... يا أنا

للّه در إبراهيم التيمى :

للّه در الإمام القدوة عابد الكوفة أبو أسماء إبراهيم التيمي وخبره :
قال ابن سعد : أخبرنا علي بن محمد قال : طلب الحجاج إبراهيم

النخعي ، فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم ، فقال إبراهيم التيمي : أنا إبراهيم ، ولم يستحلّ أن يدله على النخعي ، فأمر بحبسه في الديماس ، ولم يكن لهم ظل من الشمس ، ولا كِنّ من البرد ، وكان كل اثنين في سلسلة ، فتغير إبراهيم ، فعادته أمه ، فلم تعرفه ، حتى كلمها ، فمات ، فرأى الحجاج في نومه قائلاً يقول : مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة ، فسأل ، فقالوا : مات في السجن إبراهيم التيمي ، فقال : حُلْم نزغَة من نزغات الشيطان ، وأمر به فأُلقي على الكُناسة(١) .

حقوق عامة للمسلمين وهي أيضاً للأخ :

هناك حقوق عامة للمسلمين عامة ، وهي نائلة الأخ في اللّه خاصة منها :

١ ـ من حقوق الأخوة السلام وردّه :

ورد السلام واجب ، والسلام من تحيات الملائكة والأنبياء وشعار أهل الجنة وباب للمحبة ، وقد سئل رسول اللّه ﷺ أي العمل خير قال : « **تُطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** »(٢) ، قال رسول اللّه ﷺ : «**إن أولى الناس باللّه من بدأهم بالسلام**»(٣) .

وقال عمار بن ياسر : « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك والسلام على العالم ، والإنفاق من الإقتار » ، رواه البخاري .

● قال رسول اللّه ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ،**

---

(١) « السير » (٥/ ٦٢) ، و« الطبقات الكبرى » لابن سعد (٦/ ٢٨٥) .
(٢) رواه البخاري .
(٣) صحيح : رواه أبو داود ، وهو في « صحيح الجامع » رقم (٢٠١١) .

ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[١] .

قال النووي : « والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح لاستجلاب المحبة والمودة »[٢] .

ومن الحقوق العامة لكل مسلم :

قول نبينا ﷺ : « **حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد اللّه فشمته ، وإذا مرض فعُدْه ، وإذا مات فاتبعه** »[٣] .

● « وفي بيان حرمة المسلم ، وما لايجوز للمسلم أن يقع فيه مع سائر المسلمين يقول رسول اللّه ﷺ : « **إياكم والظن فإن الظنّ أكذب الحديث ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، وولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد اللّه إخوانًا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا... ويشير إلي صدره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله** »[٤] .

فهذه الحقوق العامة ، وهذه الحرمة المؤكدة للمال والعرض والدم ، ثابتة بعقد الإسلام وهي تزداد تأكدًا وتوثقًا في حق الإخوان »[٥] .

* * *

(١) رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه عن أبي هريرة .
(٢) « شرح مسلم » للنووي (١/ ٧٤) طبع الحلبي .
(٣) رواه البخاري ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو داود بلفظ خمس ، وليس فيه « وإذا استنصحك فانصح له » .
(٤) رواه البخاري ومسلم ، والترمذي ، وأبو داود .
(٥) « الحب في اللّه وحقوق الإخوة » للشيخ أحمد فريد (ص٢٦ ـ ٢٧) .

حب القلوب وتآلفها نعمة بيد اللَّه :

اعلم يا أخي أن : « الحب والبغض أمور لا قدرة للعبد في تحصيلها ولا دفعها لأنها أعمال القلوب ، والقلوب بيد اللَّه ، والتآلف بينها بنعمة من اللَّه .

قال تعالىٰ : ﴿ **فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾[١] .

ولكن اللَّه تعالىٰ جبل القلوب علىٰ محبة مَن يُحسن إليها والرسول ﷺ بيّن المقدمات والأسباب التي تُبنىٰ المحبة عليها وتنشأ عنها . . .

● فاثنان تحابا في اللَّه ، أي بذل كل منهما موجبات الحب للآخر ، لا لشيء إلا لوجه اللَّه .

ومن هذا أيضًا ، انطباع نفس المؤمن علىٰ محبة من يستقيم علىٰ أمر اللَّه ، وعليه ، فإن الحث في هذا الحديث علىٰ هذا الجانب الذي في مقدور الإنسان أن يفعله »[٢] .

تحابا في اللَّه :

يدل علىٰ المشاركة ، ومبادلة كل منهما صاحبه الحب في اللَّه تعالىٰ ، وهو أخص من قوله ﷺ : « **وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه** » ، لأن هذا حبّ من جانب واحد ، وقد لا يكون المحبوب عالمًا بمحبة الآخر له ، أمّا هنا فكل منهما محب ، ومحبوب ، وقد قال الحافظ في « الفتح » : « معناه أحب كل منهما الآخر حقيقة ، وقال كل منهما للآخر : إني أحبك في اللَّه ، فصدرًا علىٰ ذلك » .

---

(١) سورة الأنفال الآية (٦٣) .

(٢) « في ظلال عرش الرحمن » (ص١٢٥) .

• والمحبة في اللَّه ليست لها دوافع مادية ، وإنما دافعها العامل المشترك بينهما وهو محبة كل منهما للَّه أولاً ، ثم محبته صاحبه لحبه للَّه ثانيًا ، ومحبة اللَّه دائمة بدوام اللَّه مالم يطرأ عليها ما يغيّرها ، ولا يكون إلاّ في معصية اللَّه .

محبة اللَّه أولا : وإذا كان التحاب في اللَّه لا في شيء آخر ، فهذا لا يكون إلا بعد أن يحب كل منهما اللَّه تعالىٰ ، أي أن حب اللَّه أولاً ، ثم حب العبد لمحبته للَّه ، فمحبته اللَّه هي الأولىٰ ، ومنها محبة العبد لا يحبه إلا للَّه ، وهذا إنما هو لمحبته للَّه(١) .

رجلان تحابا في اللَّه ... خرج مخرج الغالب لا الحصر :

« قوله ﷺ : « ورجلان » ظاهره اختصاص الرجال ، وكذلك بالعدد المذكور ، ولكن لا مانع من إرادة النساء إذا صحّ منهن ذلك ، أو الرجل والمرأة من ذوي المحارم ، أو غير المحارم إذا وُجد بينهما هذا الحب في اللَّه ، لحسن دينه وفضله وصلاحه ، لا لغرض من الأغراض .

وكذلك بين الزوجين الصالحين ، وكذلك لا مفهوم للعدد لأن جماعة الرجال إذا تعاهدوا علىٰ ذلك والتزموا به وأحب كل واحد مجموعهم فيما بينهم .

ولكن حيث جاء النص علىٰ الرجال لابد أن يكون للرجل فضل اختصاص ، لأن تحاب المرأتين قد يكون ألجأهما ضعف كل منهما للأخرىٰ .

• كما أن تحاب الرجل مع المرأة ولوْ من ذوي الرحم فقد يكون لاستغلال الرجل ضعف المرأة وإحساس المرأة بحاجتها إلىٰ مَن تأوي إليه ،

---

(١) انظر : كتابنا في المحبة « موارد الظمآن في محبة الرحمن » .

وتكون تحت قوامته ، ونحو ذلك مما يشوب هذا الحب في اللَّه .

فبقي وصف الرجلين لأن الغالب بحسب تساويهما واكتفاء كل منهما يجعل لجنسهما مزيد اختصاص .

وقد يستشهد للعموم بقوله ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه** » الحديث .

فلفظة (مَن) للعموم تشمل الرجل والمرأة ولا تقتصر على جنس دون جنس ، فعُلِم أن قوله ﷺ : « **ورجلان** » خرج مخرج الغالب »[١] .

من رياض المتحابين :

• محبة خليل الرحمن عليه السلام لهذه الأمة ووصيته الغالية لها:

عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي ، فقال : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان اللَّه، والحمد للَّه ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر** »[٢] .

فهذه وصية غالية من أب غالٍ وحبيب إلى هذه الأمة ومحب لها غاية الحب ، فهل حفظناها أم ضيّعناها .

حب الكليم موسى عليه السلام لنبينا ﷺ وشفقته على هذه الأمة :

يظهر هذا جليًا في حديث الإسراء : « ... **ثم فُرض عليّ خمسون صلاة**

---

(١) « في ظلال عرش الرحمن » (ص١٢١) .

(٢) حسن : رواه الترمذي ، وقال حديث حسن غريب ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » رقم (١٠٥) و« صحيح الجامع » رقم (٥١٥٢) .

كل يوم ، فرجعت ، فمررت علي موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم ، واني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عني عشراً ، فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أُمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ، واني قد جرّبت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قلت : سألت حتى استحييت منه ، ولكن أرضى وأسلّم ، فلما جاوزت ناداني منادٍ ، أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي » .

وفي هذا الحديث يظهر جليًا حب نبي اللّه موسى عليه السلام لنبينا ﷺ وشفقته على هذه الأمة .

صورة من المحبة ما مثلها صورة : محبة الرسول ﷺ والصديق ـ رضي اللّه عنه ـ :

المحبة والأخوة التي نشأت بين رسول اللّه ﷺ وبين صدّيق هـذه الأمة ـ رضي اللّه عنه ـ وأكتفي بذكر موقف من هذه المواقف التي تدل على صدق المودة والمحبة ، واختصاص المحب لما يدور في قلب أخيه الذي أحبه في اللّه عز وجل :

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ قال : « خطب رسول اللّه ﷺ الناس وقال : « **إن اللّه خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند اللّه** » ، قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول اللّه ﷺ عن

عبد خُيِّر ، فكان رسول اللَّه هوالمخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **إنّ أمَنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدّ ، إلا باب أبي بكر** »(١) .

قال ابن رجب ـ رحمه اللَّه ـ :

« لما عرّض الرسول ﷺ على المنبر باختياره للقاء ربه على البقاء ولم يصرّح ، خفي المعنى على كثير ممن سمع ، ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ، ثاني اثنين إذ هما في الغار ، وكان أعلم الأمة بمقاصد الرسول ﷺ ، فلما فهم المقصود من هذه الإشارة بكى وقال : بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا ، فسكّن الرسول ﷺ جزعه وأخذ في مدحه والثناء عليه على المنبر ، ليعلم الناس كلهم فضله ، ولا يقع عليه اختلاف في خلافته ، فقال : إن من أمنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر »(٢) .

صورة الحب المثالية التي لا يجود بمثلها الزمان :

صورة الحب المثلى ، ما بين المهاجرين والأنصار . . . قال اللَّه تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(٣) .

صورة خروج الأنصار للقيا إخوانهم من المهاجرين وترحابهم الغالي بهم وإيثارهم على أنفسهم ، هذا الحب الذي لا يجود بمثله الزمان ،

---

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، والترمذي عن أبي سعيد واللفظ للبخاري .
(٢) « لطائف المعارف » (ص١٠٦) ـ دار الجيل بيرت .
(٣) سورة الحشر الآية (٩) .

ووقائعه التي هي أغرب من الخيال ، وأحلى من سنة النوم لمن اكتحلت عيناه بالسهر الأيام والليالي الطوال ، فمنهم من يعرض زوجاته على أخيه أيتهن أحب ينزل له عنها . . . ما ذا بعد هذا ؟! هذا الحب لا لصنيعة سبقت من المهاجرين إليهم ، أو ليد كانت لهم عليهم إنما هو الحب في اللّه .

يوم اليرموك وما أدراك بقصة الحب في يوم اليرموك ؟!

ومن هذه الصور المشرقة للمحبة الصادقة : ما رواه القرطبي عن حذيفة العدوي قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي - ومعي شيء من الماء - وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فإذا أنا برجل يقول : آه ! آه ! ، فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول : آه ! آه ، فأشار هشام أن انطلق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات »[(١)] .

هذا نعت الصديق فكيف بالأخ في اللّه :

للّه در الرافعي حين يقول في وصف الصديق :

« لا أريد بالصديق ذلك القرين الذي يصحبك كما يصحبك الشيطان : لا خير لك إلا في معاداته ومخالفته . . . ولا ذلك الرفيق الذي يتصنّع لك ويماسحك متى كان فيك طعم العسل لأن فيه روح ذبابة . . . ولا ذلك الحبيب الذي يكون لك في همّ الحب كأنه وطن جديد وقد نفيت إليه نفي المبعدين . . . ولا ذلك الصاحب الذي يكون كجلدة الوجه : تحمّر وتصفرّ

---

(١) « تفسير القرطبي » (٦٥٠٧) .

لأن الصحة والمرض يتعاقبان عليها ، فكل أولئك الأصدقاء لا تراهم أبدًا إلا على أطراف مصائبك ، كأنهم هناك حدود تعرف بها من أين تبتدئ المصيبة لا من أين تبتدئ الصداقة ، ولكن الصديق هو الذي إذا حضر رأيت كيف تظهر لك نفسك لتتأمّل فيها ، وإذا غاب أحسست أن جزءًا منك ليس فيك ، فسائرك يحنّ إليه ، فإذا أصبح من ماضيك بعد أن كان من حاضرك، وإذا تحوّل عنك ليصلك بغير المحدود كما وصلك بالمحدود ، وإذا مات يومئذ لا تقول إنه مات لك ميت ، بل مات فيك ميت . . . ذلك هو الصديق » .

نعم الصديق نضاحة عطر تمج رشاشها على حياتك روْحًا وعبيرًا وندىٰ فما ظنك بالأخ في اللَّه .

لا تكتمل الصحبة حتى تقول لأخيك : يا أنا وكلك لأخيك إلا ما حرّمه اللّه ورسوله :

لقد عبّر القرآن أصدق التعبيرعن الأخ في اللَّه ونعته بالنفس وليس بعد القرآن وعلو بيانه وعلو رياضه علوّ .

• قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فاقتلوا أنفسكم** ﴾ أي إخوانكم . . . في توبة بني إسرائيل .

• وقال تعالىٰ : ﴿ **فسلموا على أنفسكم** ﴾ أي إخوانكم .

• وقال تعالىٰ : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا** ﴾ أي : بإخوانهم خيرًا .

• وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أي : إخوانكم .

لا تكتمل الصحبة حتىٰ تقول لأخيك : يا أنـــا .

(١) « السحاب الأحمر » لمصطفىٰ صادق الرافعي (ص١٣٦ ـ ١٣٧) .